

كَذَهُمَا ﴿﴾ وحتى إذا كان لهما ماٌ سوى كنزهما فالفقير المجوز لأكل الولي هو الناتج عن ولايته عملياً، ولولاها لما افتقر ثم ولولا إقامة الجدار لم يكن هنا شغل له أجر! والرحمة الربانية تقتضي ألا يؤخذ من مال اليتيم، وليس ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ للولي الفقير إلا سماحاً حالة الضرورة لا فرضاً، فترك الأكل ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ كما إقامة الجدار حفاظاً عليه وعلى الكنز رحمة من ربك، والاطلاع على واقع الأمر رحمة من ربك ﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ فكل ذلك كان بأمر من ربك، يرى موسى في الخطوة الأولى إمرأً وفي الثانية نكرأً، هما في الظاهر من أشد القساوة، ثم يرى في الثالثة رحمة زائدة لحد لا يبررها موسى الرسول وهو رسول الرحمة، كتضاد في حُلُق الخضر يشبه طرفي النقيض، فكان لموسى موقفاً حرجاً لن يستطيع معه صبراً!

ولماذا ﴿فَارَادَ رَبُّكَ﴾ (و) رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴿﴾ ولم يقيم الجدار إلا الخضر، لا موسى ولا ربه؟ أما الإرادة فلم تكن إلا من ربك فإن بلوغهما الأشد من إرادة ربك، وكذلك الرحمة هنا في كل زواياها ليست إلا من ربك. إعلماً له أن تحته كنز لهما، وأمرأً باقامته حفظاً لكنزهما، وترك الأجر وجوباً في شرعة الله كأجر، وأكلاً دون أجر رحمة وفضلاً!

ثم و ﴿رَبِّكَ﴾ تعني التربية التشريعية وليس رسولها المبلغ لها إلا موسى، والتربية التكوينية وموسى هو إمام الخضر فيما أخذ منها، فهذه

= الله لكرامته على الله ثم ذكر الغلامين فقال: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢] ألم تر أن الله شكر صلاح أبيهما لهما.

وفيه عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام أن النبي ﷺ قال: إن الله ليخلف العبد الصالح بعد موته في أهله وماله وإن كان أهله أهل سوء ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢].

وفي الدر المنثور أخرج ابن مردويه عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله يصلح بصلاح الرجل الصالح ولده وولد ولده وأهل دويرات حوله فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم.

حرمة وحسن أدب من الخضر إلى موسى أن ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ . . . رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ فإنما أنا الخضر ماشٍ على ضوء التربية الإلهية المتمثلة فيك كإمام، المتحقة عملياً بيدي كمأموم، وإن كنت لم تدره حيث الشرعة ظاهرة وتلك من الغيب، كما لم أكن أدريه لولا رسالتك بالشرعة الظاهرة ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾!

وقد نرى الأفعال المنسوبة إلى فاعليها كلها في محالها، فإرادة الإعابة بفعالها هي من الخضر، لا وموسى ولا أن الله أرادها تكويناً إلا كما يريد فعل كل مختار، وخشية الإرهاق هي شريطة الإيمان لكل مطلع على ضمير الغيب ولكنما الله لا يخشى، وإرادة إبدالهما خيراً تتبع قتله وخشيتهما، وما أراد الله الإبدال إلا في ظرف هذه الإرادة، والإبدال فعل من الله دون سواه، كما وإرادة بلوغهما أشدهما ليست إلا من الله . .

﴿وَمَا فَعَلْتُهُ﴾ كل ذلك ﴿عَنْ أَمْرِي﴾ وإنما عن أمر ربك، فمهما غاب عنك الموضوع فالحكم نازل عليك رسولاً إلي وإماماً علي فأنا على ضوء شرعتك، فبأمر من ربك فعلت ما فعلت: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾!

في هذه المسارح الثلاثة كانت معارضة بين الحكم الظاهر والباطن باختلاف ظاهر الموضوع وباطنه، وقد طبق كل من موسى وخضر واجبه، وترجى رسول الله ﷺ فيما يروى عنه «يرحم الله موسى وددنا أنه لو صبر حتى يقصّ علينا من حديثهما» يضرب إلى عمق الغيب دون تنديد بموسى ﷺ كما وهو ﷺ يحيله بـ «لو» وكما أن «علينا» قد تعني غيره ﷺ حيث جمع، وقد أوتي ﷺ ما أوتي كل من يعلم ظاهراً أو باطناً في الطول التاريخي والعرض الجغرافي وكل خليفة أياً كان وأيان!

وقد أعذر الإمام الحسن نفسه في صلحه مع معاوية في قوله ﷺ: «إذا كنت إماماً من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يسفّه رأيي فيما أتيت من

مهادنة أو محاربة، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيت ملتبساً، ألا ترى إلى الخضر عليه السلام لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى عليه السلام فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي، هكذا أنا سخطتم علي بجهلكم بوجه الحكمة فيه ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل»^(١).

وأنتم أدنى من موسى وكان يحق له السؤال لولايته على خضر، وأنا أعلى من خضر وموسى، ولي الولاية عليكم فما كان يحق لكم سؤالي سخطاً وتنديداً!!..



(١) نور الثقلين ٣: ٢٩ ج ١٩٢ في كتاب علل الشرائع بإسناده إلى أبي سعيد عقيصا قال: قلت للحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام: يا بن رسول الله ﷺ! لم هادنت معاوية وصالحته وقد علمت أن الحق لك دونه وأن معاوية ضال باغ؟ فقال: يا أبا سعيد! أأستحجة الله تعالى ذكره على خلقه وإماماً عليهم بعد أبي عليه السلام قلت: بلى - قال: أأستحجج الذي قال رسول الله ﷺ لي ولأخي الحسين: إمامان قداماً أو قعداً؟ قلت: بلى - قال: أنا فإذا إمام لو قمت وأنا إمام إذا قعدت، يا أبا سعيد علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله ﷺ لبني ضمرة، وبني أشجع ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية، أولئك كفار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفار بالتأويل، يا أبا سعيد إذا كنت إماماً من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يسفّه رأيي فيما أتيته...».

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَأْتِي الْقُرْنَيْنِ بِمَا آتَىٰ أَنْ تَعْلِبَ وَإِنَّمَا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَا مِنْ ظَلَمٍ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَا مِنْ ءَامِنٍ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِّنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَأْتِي الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَفُتِحَ فِي الصُّورِ فَنَجَّعْنَهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾:

﴿ذِي الْقُرْنَيْنِ﴾ لم يذكر في سائر القرآن إلا هنا جواباً عن سؤال، فهل كان نبياً؟ لخصوص ﴿قُلْنَا يَذَا الْقُرْنَيْنِ﴾ خطاباً يلمح أنه وحي، وعموم ﴿وَأَيْنَتُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ ومنه سبب الوحي؟ ولكنما القول من الله لا يخص وحي النبوة وحتى قول الوحي كما ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ (١) فضلاً عن ﴿قُلْنَا﴾ وفي هذه اليتيمة فقط! ويشاركه فيه غيره ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ (٢) ولم يكونوا أنبياء! ﴿وَقُلْنَا يَتَّادِمُ مَا اسْكُنْتُمْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (٣) وما كان نبياً حينذاك أو ﴿قَالَ يَتِإِبْلِيسُ﴾ (٤) ولن يكون نبياً! فقد يعني ﴿قُلْنَا يَذَا الْقُرْنَيْنِ﴾ إلهاماً دون وسيط كما في هؤلاء، أم وحيّاً بوسيط ما في سائر الوحي إلى الناس أجمعين! وظاهر القول الخطاب هو الإلهام كما في أم موسى، وليس في قوله تعالى هنا ما يحمل مادة الوحي النبوة!

والسبب هو ما يتوصل به إلى المقصود لا يشمل سبب الوحي والنبوة، فلا يؤتى النبي سبب النبوة بل نفسها، وإنما سببها عند الله وبيد الله، ومن ثم لو كان نبياً لكان من أبرز التعريف به تصريححة النبوة، دون اختصاصه بالقدرات الأرضية، فلم يك نبياً وكما في أحاديثنا (٥).

وهل كان ملكاً؟ قد يعنيه ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَايَتُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾! ولا يؤتى ملكٌ من كل شيء سبباً! فقد يكون دون النبي وفوق الملك عبداً صالحاً (٦)

(١) سورة القصص، الآية: ٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٥.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٣٢.

(٥) كما في الدر المنثور ٤: ٢٤١ أخرج ابن مردويه عن سالم بن أبي الجعد قال سئل علي عليه السلام عن ذي القرنين أنبي هو؟ فقال: سمعت نبيكم عليه السلام يقول: هو عبد ناصح الله فنصحه.

(٦) الدر المنثور ٤: ٢٤١ - أخرج ابن عبد الحكم في فتوح مصر وابن المنذر وابن أبي حاتم =

قوياً بما آتاه الله، مؤيداً من عند الله! كمثل طالوت الملك على ضوء نبوة منفصلة!

ونعرف من الإجابات التالية حول ذي القرنين أن السؤال كان حول أفعاله الخارقة، دون نبوته أو ملكه أو نسبه وبلده، أم وإذا كان يعم ذلك كله أو يخص الثاني كما هو دأب القصصيين فلم يأت الجواب حسب الحكمة إلا المفيد المفيد الذي فيه دعوة إلهية وذكرى إيمانية!

ثم ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ يشمل زمن الرسول ﷺ وإلى أعماق المستقبل، فلا جواب صالحاً عن ذي القرنين إلا ما أجاب، ومهما كان السؤال عنه في العهد الرسولي من اليهود^(١) ولكننا العهد الرسالي وهو منذ الرسول إلى يوم الدين تشمله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾!

= وأبو الشيخ في العظمة عن خالد بن معد أن الكلاعي أن رسول الله ﷺ سئل عن ذي القرنين فقال ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب وفيه أخرجه مثله الشيرازي في الألقاب عن جبير ابن نفيير أن أحباراً من اليهود قالوا للنبي ﷺ: حدثنا عن ذي القرنين إن كنت نبياً فقال... وقد تضارب الحديث عن علي عليه السلام أنه كان نبياً أم لا وقد نفى كونه ملكاً وعله بفتح اللام رداً على من زعمه ملكاً، وهناك روايات متضاربة أخرى في نفي نبوته وإثباتها.

(١) المصدر ٢٤٠ - أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: قالت اليهود للنبي ﷺ: يا محمد! إنما تذكر إبراهيم وموسى وعيسى والنبين، أنك سمعت ذكرهم منا فأخبرنا عن نبي لم يذكره الله في التوراة إلا في مكان واحد، قال ﷺ: ومن هو؟ قالوا: ذو القرنين، قال: ما بلغني عنه شيء فخرجوا فرحين وقد غلبوا في أنفسهم فلم يبلغوا باب البيت حتى نزل جبرائيل عليه السلام بهؤلاء الآيات ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ...﴾ [الكهف: ٨٣].

وفيه وأخرج ابن أبي حاتم عن عمر مولى غفر قال: دخل أهل الكتاب على رسول الله ﷺ فسألوه فقالوا: يا أبا القاسم كيف تقول في رجل كان يسيح في الأرض؟ قال: لا علم لي به! فبينما هم على ذلك إذ سمعوا نقيضاً في السقف ووجد رسول الله ﷺ غمة الوحي ثم سرى عنه فتلا: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ...﴾ فلما ذكر السد قالوا: أتاك خبره يا أبا قاسم حسبك!

وفي نور الثقلين: ٢٩٣٢ ج ١٩٩ في قرب الإسناد للحميري بإسناده إلى موسى بن جعفر عليه السلام حديث طويل يذكر فيه آيات النبي ﷺ وفيه: ومن ذلك أن نفرأ من اليهود أتوه فقالوا لأبي الحسن جدي استأذن لنا على ابن عمك نسأله قال: فدخل علي فأعلمه فقال النبي ﷺ: =

و﴿ذِكْرًا﴾ هنا يدلنا أنه لا يقص قصص ذي القرنين إلا طرفاً منهما هاماً يذكّرنا موقفه في تمكنه في الأرض، حيث لم يستخدمه إلا خدمة للناس وطرذاً للسناس الخناس... و﴿ذِكْرًا﴾ يعني قرآناً يذكر قدر الواجب الصالح تذكرة.

ولا يستثني هنا بمشيئة الله حيث القائل هو الله، وإنما الناقل هو رسول الله والله لا يستثني ما يريده بمشيئته اللهم إلا تعليماً ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]!

ولقد تضاربت الآراء والروايات حول «من هو ذو القرنين هذا»؟ ولا يهمننا شخصه كما سكت عنه القرآن وإنما شخصيته بذكره أياً كان وأيان!

قصارى ما يستفاد من اسمه أنه عربي، وليس من دأب القرآن مسح الأسماء الأعجمية، وإنما تغيير ما قدر ما يجعله وفق الأدب العربي كإبراهيم معرب أبراهام وموسى معرب موشه، و﴿ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ لا يلمح بسمه غير عربية، و﴿ذِي﴾ تلمح كأنه من الأذواء اليمنيين وأنه اسمه الخاص أم أشهر أسمائه قضية للغة الفصحى في ﴿بَيِّنٌ لِلنَّاسِ﴾^(١)!

فاسمه يدلنا على أنه أحد التبابعة الأذواء اليمنيين من ملوك حمير باليمن وقد تردد ذكره في عديد من أشعار الحميريين وبعض شعراء الجاهلية^(٢).

= وما يريدون مني؟ فإني عبد الله لا أعلم إلا ما علمني ربي ثم قال: ائذن لهم فدخلوا فقال: أسألوني عما جئتم له أم أنبئكم؟ قالوا: نبئنا - قال: جئتم تسألوني عن ذي القرنين؟ قالوا: نعم - قال: كان غلاماً من أهل الروم ثم ملك وأتى مطلع الشمس ومغربها ثم بنى السد فيها قالوا: نشهد أن هذا كذا وكذا:

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.

(٢) ذكر جمع من المؤرخين أن ذا القرنين أحد التبابعة الأذواء اليمنيين من ملوك حمير باليمن كالأصمعي في تاريخ العرب قبل الإسلام وابن هشام في السيرة والتيجان وأبي ربحان البيروني في الآثار الباقية ونشوان بن سعيد الحميري في شمس العلوم - واختلفوا في اسمه أنه مصعب بن عبد الله أو صعب بن ذي المراند وهو أول التبابعة وهو الذي حكم لإبراهيم =

ولأن هذا الاسم وصفي وليس الاسم الخاص فقد يجوز كونه ترجمة عربية عن حالته الخاصة التي تميزه عن غيره بميزة وحيدة، إضافة إلى سائر

= في بئر السبع أو تبع الاقرن واسمه حسان أو أسعد الكامل الرابع من التبابعة ابن حسان الأقرن ملكي كرب تبع الثاني ابن الملك تبع الأول أو اسمه «شميرعش»: وقد ورد ذكر ذي القرنين والافتخار به في عدة من أشعار الحميريين وبعض شعراء الجاهلية ففي البداية والنهاية أنشد ابن هشام للأعشى:

والصعب ذو القرنين أصبح ثاوياً بالجنو في جدث أشم مقيماً
وأنشد عثمان بن أبي الحاضر لابن عباس قول بعض الحميريين:

قد كان ذو القرنين جدي مسلماً ملكاً تدين له الملوك وتحشد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي أسباب أمر من حكيم مرشد
فراى مغيب الشمس عند غروبها في عين ذي خلب وثأط حرمد
وفيه يقول النعمان بن بشير:

فمن ذا يعاودنا من الناس معشراً كراماً فذو القرنين منا وحاتم
ويقول فيه الحارثي:

سموا لنا واحداً منكم فنعرفه في الجاهلية لاسم الملك محتملاً
كالتبعين وذي القرنين يقبله أهل الحجى فأحق القول ما قبلاً
ويقول ابن أبي ذئب الخزاعي:

منا الذي بالخافقين تغرباً واصعد في كل البلاد وصوباً
فقد نال قرن الشمس شرقاً ومغرباً وفي ردم يأجوج بنى ثم نصبا
وذلك ذو القرنين تفخر حمير بعسكر فيل ليس يحصى فيحسب

ولقد حفظت أسماء الأذواء كالملوك المثامنة وهم ثمانية أذواء حيث ناهضوا حمير أيام دولتهم كما يقول شاعرهم:

أين المثامنة الملوك وملكهم ذلوا لصرف الدهر بعد جماح
ذو ثعلبان وذو خليل ثم ذو شجر وذو جدن وذو صرواح
أو ذو مغار بعد أو ذو جوفز ولقد محاذا عشكلان ما حى

ثم سائر الأذواء أكبرهم مرثد وهو جد الناظم قال فيه:

أو ذو مرثد جدنا القيل بن ذي شجر أبو الأذواء رحب الساح

ثم يذكر في أشعاره التسعة عشر ٥٣ آخرين من الأذواء ك: ذونين - ذو سفر - ذو عمران - ذوبيان - ذو الرمحين - ذو يرحم - ذو بهر - ذو يزن - ذونوش - ذو نوح - ذو الأنواح - ذو تيقان - ذو أصبح - ذو الشعبين - ذو حوال - ذو مناح - ذو غمدان - ذو فائش - ذو رعين

أفعاله المذكورة في هذه الآيات، فقد يجوز عدم كونه عربياً كاسكندر الثاني المقدوني المعروف لدى الخاص والعام بذي القرنين، المنسوب إليه السد لحدّ صار مثلاً يقال: كسد الإسكندر؟ وكما ورد في بعض الروايات^(١) وقد سيطر على الشرق والغرب بما لا مزيد عليه^(٢).

ولأن هذه السيطرة لا تخصه، وأنه كان وثنياً من الصابئين وقد ذبح ذبيحته للمشتري، والقرآن يصف ذا القرنين بالعدل وصلاح العبودية لله، إذاً فليس هو المقدوني، وقد يجوز أنه الإسكندر الأوّل، وبينهما أزيد من ألفي سنة (٢٣٠٠ ق.م) فقد كان عبداً مؤمناً صالحاً وملكاً عادلاً^(٣) وكان وزيره الخضر.

(١) كرواية عقبة بن عامر عن النبي ﷺ ورواية قرب الإسناد عن موسى بن جعفر عليه السلام وذهب إليه جماعة من قدماء المفسرين من الصحابة والتابعين كعماد بن جبل وقتادة ومن المتأخرين الإمام الرازي في تفسيره.

(٢) يؤكد عليه الرازي في تفسيره قائلاً: إن اسكندر المقدوني جمع ملوك الروم والمغرب وقهرهم وانتهى إلى البحر الأخضر ثم إلى مصر وبنى الاسكندرية ثم دخل الشام وقصد بني إسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف إلى أرمينيا وباب الأبواب ودان له العراقيون والقبط والبربر واستولى على إيران وقصد الهند والصين وغزا الأمم البعيدة ورجع إلى خراسان وبنى المدن الكثيرة ثم رجع إلى العراق ومات في شهر رز أو رومية المدائن وحمل إلى اسكندرية ودفن بها وعاش ثلاثاً وثلاثين سنة ومدة ملكه اثنتا عشرة سنة، فلما ثبت بالقرآن أن ذا القرنين ملك أكثر المعمورة وثبت بالتواريخ أنه الاسكندر فليكن ذو القرنين هو الاسكندر.

(٣) الدر المنثور ٤: ٢٤١ - أخرج ابن عبد الحكم في فتوح مصر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي في الدلائل عن عقبة بن عامر الجهني قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ - وساق حديث سؤال جماعة من أهل الكتاب عنه في ذي القرنين إلى أن قال - : إن أول أمره أنه كان غلاماً من الروم أعطي ملكاً فسار حتى أتى ساحل أرض مصر فابتنى مدينة يقال لها اسكندرية فلما فرغ من شأنها بعث الله عز وجل إليه ملكاً فعرج به فاستعصى بين السماء ثم قال له: انظر ما تحتك فقال: أرى مدينتي وأرى مدائن معها ثم عرج به فقال: انظر فقال: قد اختلطت مع المدائن فلا أعرفها ثم زاد فقال: انظر قال: أرى مدينتي وحدها ولا أرى غيرها قال له الملك: إنها تلك الأرض كلها والذي ترى يحيط بها هو البحر وإنما أراد ربك أن يريك الأرض وقد جعل لك سلطان فيها فسر فيها فعلم الجاهل وتثبت العالم فسار حتى بلغ مغرب الشمس

ولأن التأريخ لا يسجل لنا ملكاً قبل المسيح بأكثر من ألفين وثلاثمائة ملك الأرض من أقصاها إلى أقصاها وبنى السدود. . فقد لا ينطبق ذو القرنين على واحد منهما!

وإن كان المحتمل هو الأول قوياً، مهما لا يوجد «ذو» في الإغريقيين اليونان حيث الوصفية في التسمية تحل هذه المشكلة!.

وعلة هو «كورش» أحد ملوك الفرس الهخامنشيين (٥٣٩ - ٥٦٠ ق.م) فقد جمع بين مملكتي الفارس ومادو سخر بابل وأذن في رجوع اليهود من بابل إلى أورشليم وساعد في بناء الهيكل وسخر مصر ثم اجتاز إلى اليونان فغلبهم وبلغ المغرب ثم سار إلى أقاصي المعمورة شرقاً^(١) وتشهد كتب العهد العتيق على إيمانه وصلاحه^(٢) كما النقوش والكتابات المخطوطة بالخط المسماري الماثورة عنه ناطقة بكونه موحداً، وقد سار نحو المغرب فاستولى على ليديا وحواليها ثم نحى نحو المشرق حتى بلغ مطلع الشمس

(١) سار نحو المغرب لدفع طاغية «ليديا» الطاغية عليه ظلماً دون عذر فحاربه وعاصره في عاصمته ففتحها وأسره ثم عفى عنه وأحسن إليه .

ثم سار نحو الصحراء الكبير بالمشرق حوالي بكتريا لإخماد نائرة قبائل بدوية همجية انتهضوا هناك للإفساد وبنى السد الموجود في مضيق جبال قفقاز الممتدة من بحر الخزر إلى البحر الأسود ويسمى «داريال» وهذا السد واقع بين جبلين شاهقين يمتدان من جانبه وهو وحده الفتحة الرابطة بين جانبي الجبال الجنوبي والشمالي، وكان يهجم في تلك الأعصار أقوام شريرة من قاطني الشمال الشرقي من آسيا من مضيق جبال قفقاز إلى ما يواليها من الجنوب وهجموا في حوالي المائة السابعة قبل الميلاد فعمموا البلاد قتلاً وسبياً ونهباً حتى بلغوا نينوى عاصمة الآشور وكان ذلك في القرن السابق على عهد كورش تقريباً:

(٢) كما في كتاب عزرا (الإصحاح ١ : ١-٤) ودانيال (الإصحاح ٦ : ٢٨) وكتاب اشعيا (الإصحاح ٤٤ : ٢٨ و٤٥ : ١-٢٧) وقد سمي في اشعيا راعي الرب وفي (٤٥) منه «هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذي أمسكت يمينه لأدوس أمامه أمماً وأحقاد ملوك أحل لا فتح أمامه المصراعين والأبواب لا تغلق: أنا أسير قدامك والهضاب أمهد أكسر مصراعي النحاس ومغاليق الحديد أقصف: وأعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخايي: لكي تعرف أنني أنا الرب الذي يدعوك باسمك: لقبتك وأنت لست تعرفني»: